الجدال بالتي هي أحسن

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة،

حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾ بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١). الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾(٢).

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الموعظة الحسنة

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

إن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ بدعوة الناس إلى الحق والصراط المستقيم فقال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أي: ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: أي بالقرآن، أو مطلق ما يكون مطابقاً للحكمة، وسُمّي القرآن حكمةً، لأنه يتضمن الأمر بالحَسَن والنهي عن القبيح. وأصل الحكمة المنع، ومنه حكمة اللجام. وإنما قيل لها حكمة،

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

لأنها بمنزلة المانع من الفساد، وما لا ينبغي أن يختار. وقيل: إن الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحُسن والقبح، والصلاح والفساد، لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد، والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ معناه: الوعظ الحسن، وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه، والتزهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع. وقيل: إن الحكمة هي النبوة، والموعظة الحسنة مواعظ القرآن، روي ذلك عن ابن عباس. ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: ناظرهم بالقرآن، وبأحسن ما عندك من الحجج، وتقديره بالكلمة التي هي أحسن.

والمعنى: اصرف المشركين عما هم عليه من الشرك، بالرفق والسكينة، ولين الجانب في النصيحة، ليكونوا أقرب إلى الإجابة، فإن الجدل[1] هو فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه، كما جاء في الحديث: «أمرنا معاشر

---

(١) الجَدَل: اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها، وقد جادله مجادلة وجِدالاً. ورجل جَدِل ومِجْدَل و مِجْدال: شديد الجَدَل. ويقال: جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدلا أي غلبته. ورجل جَدِل إذا كان أقوى في الخِصام. وجادَله أي خاصمه مُجادلة و جِدالا، والاسم الجَدَل، وهو شدَّة الخصومة. والجَدَل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، ويقال: إنه لَجَدِل إذا كان شديد الخِصام، وإنه لمجدول وقد جادل. لسان العرب: ج١١ ص١٠٥ مادة «جدل».

الأنبياء أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[1]...[2].

وقد ذكرنا في (التقريب)[3]: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أي: أدع الناس إلى طريقه سبحانه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ وهي وضع الشيء موضعه، بأن تكون الدعوة حكيمة في الأسلوب والزمان والمكان ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ بأن تكون الدعوة وعظاً حسناً، لا يسبب تشريد الناس، بل إقبالهم، فقد يقول الإنسان للفاسق: يا فاسق، ويبصق في وجهه ـ فإنه يزيده عناداً ـ وقد يقول له: أيها الأخ، إنك شاب جميل، فلماذا لاتسلك سبيل ربك الذي نهاك عن العمل الكذائي؟ وهكذا، ﴿وَجَادِلْهُم﴾ أي حاجج وناظر من كفر وعصى ﴿بِالَّتِي﴾ أي بالطريقة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ الطرق، حيث لا تثير عنادهم ولا تجرح كبرياءهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ واعرف بطباعهم ونفسياتهم، فأمره إياك بالدعوة هكذا، ليس إلاّ لأنه أعلم بما يُصلحهم ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الذين اهتدوا فجزاؤهم عليه، وليس عليك إلاّ الدعوة بهذه الكيفية[4].

---

(١) غوالي اللآلي: ج٢ ص١٠٣ ب١ المسلك ٤ ح٢٨٤.

(٢) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٦ ص٢١٠ سورة النحل.

(٣) تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام الشيرازي ﷺ، يقع في ثلاثين جزءً، طبع عدة مرات في لبنان، منها طبعة دار العلوم، جمعتها في خمسة مجلدات.

(٤) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٤ ص١٦٨ سورة النحل.

بناءً على ما ذكر من أن الحكمة هي القرآن أو رسالة النبي ﷺ أو ما يناسب الزمان والمكان وسائر الشرائط، ينبغي لحملة الرسالة والمبلغين أن يتحلوا بالحكمة، ليؤثر كلامهم في الناس، وكذلك الموعظة الحسنة.

ولا فرق في ذلك بين الكلام اللفظي والكتبي والعملي.

فينبغي أن يكون الخطيب حكيماً ويتصف بحسن الموعظة، وكذلك الكاتب، وهكذا المبلّغ الديني في سيرته العملية، فإن الناس كثيراً ما ينظرون إلى فعل الإنسان قبل قوله.

ومن جانب آخر، قد يكون من مصاديق الحكمة والموعظة الحسنة: أنه لابد للخطيب أو الكاتب أو الباحث قبل أن يخوض في بحثٍ، أو يناقش مسألة، أو يكتب كتاباً، أو يبيّن فكرة مّا، أن يدعم موضوعه وفكرته بالنور الساطع، المتمثل بالقرآن الكريم، وسنة النبي العظيم ﷺ وأهل بيته الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ليكتمل موضوعه ويتصف بالحكمة؛ لأنهم عليهم السلام لم يتركوا شيئاً من أمور الدنيا والآخرة إلاّ وقد وضّحوه لنا، إمّا بالمباشرة أو بنحو العمومات وما أشبه، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاك رسول الله ﷺ ونحن»[1].

---

(١) الكافي: ج١ ص١٨٣ باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه ح٧.

وهناك العديد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، التي تدل على هذا الموضوع، كما أن قصصاً كثيرة من التاريخ الإسلامي، ومن واقعنا الحالي، تشهد على ذلك.

التقسيمات الأولية للمناقشة

المناقشة: فن جميل، ينبغي لكل مسلم أن يحاول تعلّمها وتعليمها، فإنّ لها منافع جمة يستطيع بها الإنسان من الوصول إلى مراده بأقل عناء وتعب. فالشخص الذي يجيد أسلوب المناقشة يصبح من السهولة عليه أن يقنع الآخرين ويجرهم إلى فكرته وهدفه، على العكس من الشخص الذي لا يجيده، فإنّه حتى لو كان على حق، وكانت فكرته التي يريد إيصالها نافعة وصحيحة، فإنّه يلاقي صعوبة كبيرة في إيصال مراده إلى الطرف المقابل، إن لم نقل بأنّه سيفشل في ذلك.

وقد قسّم المختصون في فن المناقشة ـ الناس من حيث النقاش ـ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الخواص المميزون، وهم أصحاب النفوس المشرقة، القوية الاستعداد لإدراك الحقائق العقلية، فهؤلاء عادة يدعون بالحكمة، وتكون المناقشة معهم بالبراهين والأدلة العقلية.

الثاني: عموم الناس ممن لهم فهم عادي واستعداد ليس بالفائق، وتكون شدة ألفتهم بالمحسوسات، وقوة تعلقهم بالرسوم والعادات كبيرة، وربما كانوا قاصرين عن تلقي البراهين العلمية، من غير أن يكونوا معاندين للحق، وهؤلاء تكون نوع المناقشة معهم عن طريق الموعظة الحسنة.

الثالث: قلة من الناس وهم أصحاب العناد واللجاج، اللذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ويكابرون ليطفئوا نور الله

بأفواههم، وهؤلاء لا ينفع معهم النقاش عن طريق البراهين والأدلة، أو عن طريق الموعظة الحسنة، وإنما يلزم مجادلتهم بأحسن الجدال حيث قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

تبديل حالة الدفاع إلى الهجوم

ذكر المختصون في أساليب المناقشة ضرورة اتخاذ سياسة الهجوم بدل الدفاع، خاصة في حال كون الطرف المقابل معانداً.

ولا نقصد بالهجوم ما ينافي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، بل هجوماً منطقياً خاضعاً لإحدى المراتب الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة، أي هجوماً بحكمة، أو هجوماً بموعظة حسنة، أو هجوماً جدلياً بالتي هي أحسن.

فإن الغالب ـ عادة ـ هو المهاجم وليس المدافع، وهذه القضية مطابقة للجانب التكويني أيضاً، حيث يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما غُزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلوا»(٢).

فإذا اتخذ العدو حالة الهجوم، وأصبحت أنت في حالة الدفاع فقط، فإنك ستُغلب ـ غالباً ـ ؛ لذا عليك أن تتخذ الهجوم مقابل الهجوم،

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢٧ من خطبة له عليه السلام وقد قالها يستنهض بها الناس..

حتى يضطر العدو إلى الركون واللجوء إلى حالة الدفاع، وهذا ما يذكر في العلوم العسكرية والحربية أيضاً.

والبحث هنا حول المناقشة والمجادلة والمحادثة، فأحياناً لايكون الطرف المقابل إنساناً معانداً، بل هو يقتنع بالدليل مقابل الدليل، ويحترم البرهان والموعظة الحسنة، فنناقشه بحسب الأدلة والبراهين أو بالموعظة الحسنة كما ذكرنا. وقد يكون الطرف المقابل معانداً ويتبع الهجوم، فهنا لا يصح أن نتبع معه البحث العادي، بل لابدّ أن نسلك معه الطريق الأخير وهو: الجدال بالتي هي أحسن.

وفي كل ذلك اتخاذ سبيل الهجوم الحواري أفضل من الاقتصار على سبيل الدفاع في ذلك، كما هو واضح.

الجدال الحسن والمذموم

الجدال كما ذُكر في الكتاب والسنة على قسمين:

١: جدال حسن.

٢: جدال مذموم.

وقبل الدخول في تفصيل هذين القسمين لابد من توضيح نقطة مهمة، هي أنّ الجدال بما هو جدال مذموم، فالجدال لغرض الجدال أمرٌ غير محبّب، أي إذا كان الجدال لأمور نفسانية كقصد الغلبة، ومجرد إفحام الطرف المقابل، والمباهاة على الآخرين، والتشوّق لإظهار الفضل، لا لقصد إظهار الحق، فهنا يصبح الجدال مذموماً، بل إنه يكشف عن الصفات السلبية التي ذمها الله تعالى.

فالجدال على ما ذكر، وأولاً وبالذات مذموم؛ لأنّه يستلزم العناد والمكابرة والابتعاد عن الحق.

لكن الجدال لهدف معنوي سام، وباعتباره ثانياً وبالعرض هو حسن، بل ربما يكون واجباً، فلو صادفك شخص وهذا الشخص من النوع المعاند الذي لا يذعن للبراهين والأدلة والحجج الدامغة، بل يكابر ويصرّ على رأيه، فهنا تزول مذمومية الجدال ويصبح الجدال بالتي هي أحسن مع هذا الشخص حسناً، بل قد يتوجب عليك مجادلته؛ فيما إذا كان ترك جداله سبباً لتصور الناس أنه على الحق، فإذا جئته بالمنطق والبراهين والأدلة لكنه لا يقتنع بل يصر على رأيه الباطل، ويخدع الآخرين بآرائه الباطلة. ففي هذه الحالة يلزم أن تجادله بالتي هي أحسن، أي بالطريقة الحسنى كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

وبعد أن ذكرنا أن الجدال على قسمين: قبيح وحسن، يأتي الدور إلى مراتب القُبح والحُسن، فالجدال الحسن ينقسم أيضاً إلى قسمين:

١. جدال حسن.

٢. جدال أحسن.

والقسم الثاني منه هو المأمور به من قبل الله تعالى. فعلى المؤمنين أن يتصفوا بالجدال الأحسن.

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

الجدال في الكتاب والسنة

في القرآن الكريم مصاديق عديدة لأنواع الجدال، الحسن والأحسن، والقبيح والأقبح.

قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [2].

ومن النوع الثاني بقسيمه: قول الله تعالى في الكتاب الكريم: ﴿مِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [5].

كما ورد في الروايات الشريفة المروية عن أهل البيت عليهم السلام ذلك بشقّيه الحسن والمذموم، والأحسن والأكثر ذماً.

ففي الجدال الحسن، قال أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة الحج: ٣.

(٤) سورة غافر: ٥.

(٥) سورة غافر: ٥٦.

والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه؟ فقال الصادق عليه السلام: لم يُنه عنه مطلقاً، ولكنه نُهي عن الجدال بغير التي هي أحسن؛ أما تسمعون الله يقول: ﴿ولا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١) وقوله: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجدال بغير التي هي أحسن محرم حرمه الله على شيعتنا، وكيف يحرم الله الجدال جملةً وهو يقول: ﴿وقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى﴾ (٣) وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (٤) فجعل الله علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى ببرهان إلاّ بالجدال بالتي هي أحسن».

قيل: يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي أحسن؟ وبالتي ليست بأحسن؟

قال عليه السلام: «أما الجدال بغير التي هي أحسن، فأن تجادل به مبطلاً فيورد عليك باطلاً، فلا ترده بحجة قد نصبها الله، ولكن تجحد قوله، أو تجحد حقاً يريد بذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة؛ لأنك لا تدري كيف المخلص منه،

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة البقرة: ١١١.

(٤) سورة البقرة: ١١١.

فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنةً على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين، أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته، وضعف في يده حجةً له على باطله، وأما الضعفاء منكم فتغم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل، وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له، فقال الله له حاكياً عنه: ﴿وضَرَبَ لَنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وهِيَ رَمِيمٌ﴾ (١) فقال الله تعالى في الرد عليه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (٢)، إلى آخر السورة، فأراد الله من نبيه ﷺ أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى: ﴿قل يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يُبلى؟! بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً﴾ أي: إذا أكمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب، ثم يستخرجها، فعرفكم أنه على إعادة ما بلي أقدر ثم قال: ﴿أَولَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ

---

(١) سورة يس: ٧٨.

(٢) سورة يس: ٧٩ ـ ٨٠.

والأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾[1] أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم، والأصعب لديكم، ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي؟!

قال الصادق عليه السلام: فهو الجدال بالتي هي أحسن؛ لأن فيها قطع عذر الكافرين، وإزالة شبههم. وأما الجدال بغير التي هي أحسن، فأن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله، وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هو المحرم؛ لأنك مثله، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقا آخر»[2].

وعن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «من أعاننا بلسانه على عدونا، أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل»[3].

أما ما ورد من الأحاديث في التحذير من الخوض في الجدال فإن المراد به الجدال المذموم والقبيح بمراتبه المختلفة. فقد روي عن أمير المؤمنين

---

(١) سورة يس: ٨١.

(٢) الاحتجاج: ج١ ص٢١ فصل في ذكر طرف مما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله من الجدال والمناظرة والمحاربة..

(٣) الأمالي، للشيخ المفيد رحمه الله: ص٣٣ المجلس٤ ح٧.

عليه السلام: «إيّاكم والجدال فإنه يورث الشكّ في دين الله»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إياك والخصومة فإنها تورث الشك وتحبط العمل وتردي بصاحبها، وعسى أن يتكلم بشيء فلا يغفر له»[2].

وروي أن رجلاً قال للإمام الحسين عليه السلام: أجلس حتى نتناظر في الدين.

فقال: «يا هذا، أنا بصير بديني مكشوف عليّ هداي، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه، ما لي وللمماراة، وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه، ويقول: ناظر الناس في الدين كيلا يظنوا بك العجز والجهل، ثم المراء لا يخلو من أربعة أوجه: إما أن تتمارى أنت وصاحبك فيما تعلمان، فقد تركتما بذلك النصيحة وطلبتما الفضيحة وأضعتما ذلك العلم، أو تجهلانه فأظهرتما جهلاً وخاصمتما جهلاً، أو تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلبك عثرته، أو يعلمه صاحبك فتركت حرمته ولم تنزله منزلته، وهذا كله محال، فمن أنصف وقبل الحق وترك المماراة فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه وصان عقله»[3].

من معاني الجدال

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص١٣٨ ب١٧ ح٤٩.

(٢) فقه الرضا عليه السلام: ص٣٨٤ ب١٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٢ ص١٣٥ ب١٧ ح٣٢.

وعرّف بعض الجدال بأنّه الحجة التي تستعمل لصرف الخصم عما يصرّ عليه وينازع فيه، من غير أن يريد به ظهور الحق.

من مصاديق الجدال

هناك مصاديق عديدة للجدال الحسن والأحسن ينبغي مراعاتها، وفي المقابل مصاديق للجدال القبيح والأقبح ينبغي تركها.

فإنه يلزم على الشخص المجادل حتى إذا كان على الحق، أن يحترز عن سوء التعبير والإزراء بالخصم وبما يقدّسه من المعتقدات، وأن لايجرح مشاعره، ويبتعد عن السبّ والشتم، وأي جهالة أخرى، فإنه من الجدال القبيح، وإن كان لإثبات الحق، لأن ذلك من إحياء للحق بإحياء الباطل وهذا مرفوض، لأنه بالتالي إماتة للحق؛ لأنّ الحق لايحييه الباطل، بل الحق يحيى بإحيائه وباتباع الأساليب الحقة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وليس الحسن فحسب.

ثم إن الجدال يحتاج إلى حسن أكثر مما هو شرط في الموعظة، لأن الآية الكريمة دعت إلى الموعظة الحسنة، وفي الجدال دعت إلى الأحسن.

جدال المعاند

سبق أن أشرنا إلى ضرورة اتخاذ سبيل الهجوم في الجدال، لا الدفاع، فإنه كثيراً ما لا يمكن إثبات الحق لبعض الناس إلاّ بالهجوم على الباطل، ومن الواضح أن الملحد إذا أورد إشكالاً مّا على التوحيد وإثبات الباري عزوجل، فإذا أردت أن تجيب ربما جاء بإشكال جديد، وحينما تبدأ بإجابة ذلك الإشكال الجديد فسيأتيك بإشكال ثالث وهكذا، وفي كثير من الأحيان لا يمكن إقناعه أو حصره، فعليك هنا إذا

صادفك مثل هذا النموذج من الناس أن تبدأ أنت بالجدال الهجومي وتبادره بالسؤال، وتقول له: ما هو دليلك على عدم وجود الله؟ وبمجرد أن يأتي لك بدليل، تبدأ أنت بصياغة إشكال له، وهكذا، كل ذلك لكي توصله إلى طريق مسدود فيذعن لك؛ لأنّه على باطل، والباطل مهما كان قوياً فنتيجته الخذلان، والمعاند الذي لا يعترف بوجود الله مهما امتلك من القدرة والكفاءة، فإنه يعجز في النتيجة عن إثبات ذلك؛ لأن الباطل هو الزائل الزاهق، بعكس الحق فإنه الثابت، ووجود الله تعالى حقيقة ثابتة، بل أظهر الحقائق وأقواها، وإذا كان جدالك مع المعاند لإظهار الحق فإنك الفائز كما ذكر الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [2].

روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «ليس من باطل يقوم بإزاء الحق إلاّ غلب الحق الباطل..»[3].

---

(١) سورة الشورى: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ١٨.

(٣) الكافي: ج٨ ص٢٤٢ حديث القباب ح٣٣٤.

وقال الحاج السبزواري في منظومته[1]:

الغرض التحرز والابتلا لرغم لدٍّ حبذا سلاسلا[2]

حوار مع ملحد

عند ما كنا في العراق جاءني أحد المؤمنين بملحد لمناقشته وحواره

---

(١) وهو الشيخ هادي بن محمد مهدي السبزواري، ولد سنة (١٢١٢هـ) في مدينة سبزوار. كان حكيما فيلسوفاً ورعاً عارفاً شاعراً، رغب في طلب العلم عند بلوغه العشرين من عمره، وكان متميزاً في العلوم، حضر بحث الشيخ الكلباسي في اصفهان والشيخ محمد تقي صاحب الحاشية فاستهوته حلقات الدروس ثم حضر درس الآخوند إسماعيل السبزواري والشيخ علي النوري، وظل على هذا المنهج ثلاث سنين، وفي سنة (١٢٤٠هـ) حضر درس الشيخ أحمد الأحسائي، وبعده سافر إلى مشهد المقدسة فدرس في مدرسة حاجي حسن وجعل يباحث في العلوم العقلية والنقلية، له تلامذة مجتهدون أشهرهم الآخوند محمد كاظم الخراساني، والشيخ إسماعيل البجنوردي، والملا إسماعيل السبزواري، وغيرهم. له ترجمة في تتمة أمل الآمل، جاء فيها: متأله إشراقي، انتهت إليه حكمة الإشراق في عصرنا، كان معروفاً بالزهد والورع لا يترك القيام بالثلث الأخير من الليل للتهجد والتنفل، وله المواظبة على السنن وإقامة العزاء الإمام الحسين عليه السلام.

له مؤلفات عديدة أهمها: حاشية على كتاب المثنوي يعرف بشرح المثنوي، ومنظومة الحكمة المشهورة، وشرح المنظومة وهي على قسمين: المنطق، والفلسفة، وتعليقات على الأسفار الأربعة، وحاشية على رسالة المبدأ والمعاد لصدر المتألهين، وغيرها. توفي بسبزوار سنة (١٢٨٩هـ) ودفن خارجها وبني على قبره قبة.

انظر أعيان الشيعة: ج١٠ ص٢٣٤ هادي السبزواري.

(٢) شرح المنظومة، للسبزواري: ص٣١٩.

وجداله بالتي هي أحسن، فقال الملحد: هل أنت تقول بوجود الله؟

فقلت له على الفور: وهل أنت تقول: بأن الله ليس موجوداً؟

قال: نعم.

فقلت له: فما هو دليلك عليه.. فهل ذهبتَ إلى كل السماوات والبحار والكواكب والغابات، وفتّشتَ عنه فيها ولم تجده حتى تقول بأن الله ليس موجوداً؟!

فلم يتمكن من الجواب وتحيّر في الرد على هذا السؤال، وعندها صار كلامه فاقداً لأية قيمة.

لذا فإنّ المختصين بعلم المناظرات، وهو العلم الذي وضع لأجل أمثال هذه المواطن، ذكروا أنّ على الإنسان أن يخرج نفسه من موقع الدفاع إلى حالة الهجوم، مما يجعل الخصم المعاند يصاب بالحصر في النقاش، هذا إذا لم يصل إلى درجة الاقتناع بالفكرة.

المسلمون الأوائل والأسوة الحسنة

إن المسلمين في القرن الأخير اتخذوا موضع الدفاع بعدما كانوا هم الذين يمتلكون زمام المبادرة والهجوم في المحاججات والمحاورات والمناظرات العلمية والعقائدية، وكذلك في سائر ميادين الحياة، فراحوا يخرجون من هزيمة وانكسار ليدخلوا في خسارة وانكسار جديدين، وظلوا في عداد المتأخرين عن ركب الأمم.

لذا يجب على المسلمين أن يتخلّصوا من هذه الحالة التأخرية، ويتخذوا موضع الهجوم الحواري ـ بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن ـ في مختلف مجالات الحياة حتى يلجأ أعداء الإسلام والمسلمين ـ من غربيين وشرقيين ـ إلى موضع الدفاع، ولا نعني بالهجوم، الهجوم المسلح، بل نحن نرى ضرورة اتخاذ سياسة السلم واللاعنف دائماً، نعم قد يكون التحرك المسلح عند أقصى حالات الضرورة آخر وسيلة تستخدم ضد العدو حين تقصر الوسائل الأخرى، من قبيل التحرك السياسي والدبلوماسي والإعلامي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والفكري والكلامي في المناقشة وغيرها، ففي بادئ الأمر يلزم على المسلمين أن يستخدموا أسلوب المحاورة والمجادلة العلمية والفكرية في القول والعمل؛ لأن الإسلام دين المنطق والبرهان لا السيف والحرب، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].. فإذا عجزوا عن ذلك وداهمهم العدو للقضاء على الإسلام والمسلمين، ولم تنفع سائر السبل المذكورة، فحينذاك يمكن استخدام الأساليب الأخرى ضمن المقررات الشرعية وبقرار من شورى الفقهاء المراجع ودراسة من الأخصائيين، تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يستخدم أولاً أسلوب المحاورة والمناقشة العلمية القائمة على البراهين والأدلة أمام خصومه، فإذا لم تنفع هذه الوسائل، أي: تعنّت

---

(١) سورة النمل: ٦٤.

الطرف المقابل، وأخذ بمحاربة الإسلام والمسلمين فاجأه الرسول ﷺ بخطة دفاعية محكمة يلاحظ فيها التفوق والمبادرة.

الرسول الأعظم ﷺ قدوة

إن الرسول الأعظم ﷺ هو مدرسة متكاملة في جميع الاتجاهات، ففي أسلوب المناقشة والمحاورة والمجادلة نجده في القمة، وكذلك في الأسلوب الإداري والمدني، وهكذا في الميدان الحربي والعسكري.

وقد اعترف للرسول الأعظم ﷺ بهذه القدرات كبار العلماء في الفكر والأدب والحرب، وكثير منهم غير مسلمين:

فقد قال الفيلسوف الروسي (تولستوي)[1] في فضل الرسول الأعظم ﷺ: (لا ريب في أنّ محمداً خدم الاجتماع خدمات جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى مئات الملايين إلى نور الحق والسكينة والسلام، ومنح الإنسانية طريقاً للحياة، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلاّ إنسان أوتي قوة وإلهاماً وعوناً من السماء).

وكذلك قال الشاعر الألماني الكبير (جوته)[2] في النبي الأعظم ﷺ

---

(١) ليون تولستوي (١٨٢٨م ـ ١٩١٠م) كاتب قصصي روسي حاول إصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبة وعدم العنف، صور العادات الروسية وانتقد المساوئ، أشهر رواياته (الحرب والسلم) و(آنا كارنينا).

(٢) يوهان فون غوته (١٧٤٩م ـ ١٨٣٢م) أديب وسياسي وعالم من كبار أدباء ألمانيا، ولد في فرانكفورت، من زعماء حركة العاصفة والاندفاع الأدبية أطلقها بروايته (آلام فارتر ـ ١٧٧٤م) تطور فنه وزادت خبرته بعد رحلة إلى إيطالية وتأثر بالثورة الفرنسية، بنشاطه السياسي أصبح وزيراً وببحوثه العلمية ارتقى إلى مراتب عالية في عالم ←

وفي الإسلام: (إذا كان الإسلام هو التسليم لله لا للأهواء والأغراض، ففي الإسلام نحيا وعليه نموت).

وكما قال أيضاً: (عندما قرأت تاريخ رسول الإسلامﷺ ألّفت النشيد المحمدي وكتب مسرحية محمدﷺ).

نعم، هذا هو نبينا الأعظمﷺ، فلو تمسّك المسلمون اليوم بسيرته ﷺ وسيرة أهل بيته عليهم السلام قولاً وفعلاً لأصبحوا أسياد العالم كما كانوا من قبل بدون منازع [1].

→

الأدب، أهم مؤلفاته: توركاتو تاسو، تحول النباتات، ومأساة فاوست، والديوان الغربي والشرقي.

(١) في مقال نشر على الإنترنت تحت عنوان: ماذا قال فلاسفة الغرب ومفكروه عن نبي الإسلام ﷺ؟ نذكر ما جاء فيه باختصار:

قال الفيلسوف الإنجليزي برنارد شو: (إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد ﷺ هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى الأديان على هضم جميع المدنيات، خالدا خلود الأبد، وإني أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة ـ يعني أوروبا).

ويضيف: (إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد ﷺ صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها).

←

→

ويقول: (لقد كان دين محمد ﷺ موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، والحيوية تعني دائم النشاط، ويقول: وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، يعني كلما جد جديد في الحياة يستطيع هذا الدين الذي جعله الله لكل زمان ومكان أن يهضم هذه التطورات، وأن يجعل لها أحكاماً وأن ينظمها في مجريات الحياة). ويضيف: (إن أوروبا الآن بدأت تحس بحكمة محمد ﷺ وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمها به من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى)، ويضيف: (ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإني أعتقد أن رجلا كمحمد ﷺ لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام).

ويقول (لومارتان) في كتابه (تاريخ تركيا):

(إذ كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد ﷺ في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم، ولكن هذا الرجل محمد ﷺ لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويؤسس الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ، ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة).

ويقول: (لقد صبر النبي ﷺ وتجلد حتى نال النصر من الله، كان طموحه موجهاً بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك، حتى صلاة النبي ﷺ الدائمة ومناجاته لربه ووفاته ﷺ وانتصاره حتى بعد موته، كل

←

→

ذلك لا يدل على الغش والخداع، بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث، فالشق الأول يبين صفة الله وهي الوحدانية، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى ـ وهو المادية والمماثلة للحوادث ـ، لتحقيق الأول كان لابد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلب ترسيخ العقيدة بالكلمة ـ بالحكمة والموعظة الحسنة).

ويضيف: (هذا هو محمد ﷺ الفيلسوف الخطيب النبي المشرع المحارب قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام، وهو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة، هذا هو محمد ﷺ، بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي ﷺ؟).

أما العالم الأمريكي (مايكل هارت) فيقول:

(إن محمداً ﷺ هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقا في المجالين الديني والدنيوي، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا). ويضيف في كتابه (مائة رجل من التاريخ): (إن اختياري محمداً ﷺ ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء؛ ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح ﷺ في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى ﷺ في اليهودية، ولكن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام بجانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضا، وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمه، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها،
←

عبرة لمن يعتبر

ذكرنا أن من أسباب تأخر المسلمين موقف الدفاع المتأخر دائماً، فعلينا أن نبدّل مواضعنا الدفاعية في مختلف مجالات الحياة الإعلامية والحوارية وغيرها إلى خطوات هجومية سلمية، إنّ اليهود سابقاً سواء كانوا في الغرب أو الشرق، لم يكونوا بقادرين حتى على الدفاع عن أنفسهم، وكانوا دائماً يُطردون من قبل الآخرين وذلك لفسادهم وإفسادهم، لكن بعدما حصلوا على مواضع الهجوم، وسعوا إلى تقوية بنيتهم المالية والإعلامية والتنظيمية والثقافية والعلمية والاجتماعية وغيرها من وسائل القدرة، تمكنوا من أن يجعلوا الغرب بحاجة إليهم، وهم الآن في مجتمعاتهم يعدون من سادات الدنيا، في الوقت الذي لا يصل عددهم في العالم إلى أكثر من (١٣ مليون نسمة)[١]، إلاّ أنّ الكثير

→

ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها).

(١) ذكر أن اليهود الأمريكيين يشكلون عصب اليهود في العالم، ويتحركون على الساحة الأمريكية قوة واحدة، وقرارهم واحد، وهم في حقيقة الأمر ـ فيما بينهم ـ مختلفون إلى درجة تكفير بعضهم بعضًا، فـ(٩ ٪) منهم ينتمون إلى اليهود الأرثوذكس، أما اليهود المحافظون فيشكلون (٣١ ٪) من اليهود الأمريكيين، وهؤلاء متطبعون لسلوكيات المجتمع الأمريكي، في الوقت نفسه يتبعون القانون اليهودي التقليدي، أما الإصلاحيون فيشكلون (٣٢ ٪) من اليهود الأمريكيين؛ والعلمانيون يشكلون (٢٦ ٪) من تعداد اليهود الأمريكيين. وإن (١٤ ٪) من اليهود ملتزمون باليهودية بدقة، ←

من الجامعات والبنوك ومراكز القرار السياسي والاقتصادي، وكبار رؤساء الجيوش في الغرب هي بيد اليهود؛ وانقلبت المعادلة فصار الغرب والشرق مقابل هؤلاء في موضع دفاع لا أكثر. إنّ اليهود ثبتوا في مواقفهم، وأخذوا بزمام المبادرة، وأسس التقدم، رغم انحرافهم

→

و(٢٤ ٪) ملتزمون بدرجة كبيرة، و(٤٠ ٪) ملتزمون بدرجة ما، و(٢٠ ٪) غير ملتزمين على الإطلاق. وإذا نظرنا إلى أوضاعهم على مستوى العالم نجد أن تعداد اليهود في العالم كله (١ر١٣) مليون يهودي، وأنهم يتمركزون في عشرة بلدان بصفة أساسية، في مقدمتها الولايات المتحدة.

حيث يتمركز اليهود في الولايات المتحدة في عشر مدن رئيسة، في مقدمتها نيويورك حيث يعيش فيها (٩ر١) مليون يهودي، ثم لوس أنجلوس (٥٩٠ ألفًا)، وفي ميامي (٣٨٢ ألفًا)، وفي فيلاديلفيا الكبرى (٢٨٠ ألفًا)، وفي شيكاغو (٢٦٣ ألفًا)، وبوسطن (٢٣٥ ألفًا)، وسان فرانسسكو (٢١٦ ألفًا) وواشنطن (١٦ ألفًا)، وفي ويست بالت بيتش (١٥١ ألفًا)، وفي بالتيمور يعيش (١٠٥ آلاف) يهودي ، و(٧٦ر١) مليون متفرقين على باقي الولايات أو حاملين جنسيات أخرى. فيكون مجموعهم في أمريكا (٩ر٥) مليون يهودي.

أما عددهم في إسرائيل فقد بلغ (٥ر٤ مليونًا) وعددهم في بريطانيا (٣٠٠ ألف) وعددهم في فرنسا يبلغ نصف مليون، وعددهم في كندا يبلغ (١٤٠٠) يهودي، وعددهم في الأرجنتين (مائتي ألف)، وعددهم في أوكرانيا (مائتي ألف)، وعددهم في البرازيل مائة ألف يهودي، وعددهم جنوب إفريقيا مائة ألف يهودي، وعددهم في البحرين (ما بين٢٠ إلى ٣٠) فرداً وينتمون إلى عائلات مشهورة.. انظر مجلة المستقبل الإسلامي، العدد ١٢٣، رجب١٤٢٢ هـ.

وفسادهم وضلالهم العقائدي والأخلاقي، وصار هذا سبباً لأن تبقى إسرائيل دولة قوية في قلب العالم الإسلامي، وهي باستمرار تزيد من مساحتها الجغرافية ومن نفوسها وقدراتها؛ لذا على المسلمين الذين يشكلون قاعدة جماهيرية كبيرة تزيد المليار، ويملكون من الإمكانات المعنوية والمادية الشيء الكثير، أن يخرجوا من حالة الدفاع ويتأهبوا لحالة المبادرة في مختلف مجالات الحياة، كما كان المسلمون في صدر الإسلام متطورين متقدمين وهذا ما يعترف به الغرب والشرق.

مناقشة مع شيوعي

حينما كنّا في الكويت قال لي أحد الشباب: إن لي أخاً يعيش في خارج البلاد، وهو يعد أحد الأشخاص الذين هم من النواة المركزية للحزب الشيوعي[1] هناك، وهو يمتاز بقوة الحجّة والدليل وبمهارة في

---

(١) الشيوعية مذهب سياسي يهدف إلى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة. وتعد الشيوعية من أشد المذاهب الاشتراكية تطرفاً، وهي حركة ثورية عنيفة ترى أن تحقق إنشاء مجتمع يتساوى أفراده في الحقوق لا يكون إلاّ باستعمال القوة المسلحة؛ فهي لذلك تحارب الديمقراطيات وخاصة التي تشجع الرأسمالية.

يرجع ظهور الحركة الشيوعية في روسيا إلى عام (١٩٠٣م) عندما انشق أتباع كارل ماركس إلى معسكرين: إصلاحي وراديكالي بزعامة لينين. فلما حاز هذا الأخير الأغلبية عرف بحزب الأغلبية التي يعبر عنها في الروسية بكلمة: بولشفيك، ومن هذا قامت العلاقة اللفظية بين البولشفية والشيوعية التي هي مذهب سياسي. تميزت سياسة لينين (ومن بعده تروتسكي) بمحاولة نشر المبادئ الشيوعية في العالم باستخدام القوة، وذلك بتشجيع الثورة بين الطبقات العاملة في المجتمعات الرأسمالية ـ كما وضحه ماركس في الإعلان الشيوعي ـ لهذا تناهض الشيوعية القوميات والديانات، وتطلب من الشيوعي الولاء التام لعقيدته ولزعمائه. كما أصبحت سياسة الدول الرأسمالية ـ لاسيما الولايات المتحدة ـ تهدف إلى حصر الشيوعية، والعمل على وقف تسللها وغل يديها عن اكتساب مناطق نفوذ جديدة، فأقامت الأحلاف والقواعد العسكرية على حدود الدول الشيوعية، كما منحت الدول التي يخشى وقوعها في نطاق نفوذ الشيوعية قروضاً وإعانات لرفع مستواها الاجتماعي أو لتقوية دفاعاتها، وقد كانت الحرب الكورية والفيتنامية أمثلة لهذا الصراع العقائدي بين الرأسمالية والشيوعية.

←

المجادلة والنقاش، وإني أريد أن آتي به إليكم لتناقشوه عسى أن يهتدي؟

→

تعرف الدول الشيوعية بدول الديمقراطيات الشعبية أو الدول الاشتراكية، في حين أطلق الغرب عليها اسم دول الستار الحديدي أو الدول البلشفية أو الدول الحمراء، ومع أن اتحاد الجمهوريات السوفيتية يعتبر قاعدة العالم الشيوعي إلا أن المبادئ الشيوعية كما صورها ماركس لم توضع موضع التطبيق الكامل فيها، بل أن الساسة السوفييت بعد وفاة لينين ـ وفي مقدمتهم ستالين ـ لم يروا ضيراً في الانحراف عن المبادئ الماركسية بعض الشيء، وانتهاج بعض السياسات المرنة نوعاً ما في معالجة التطبيقات الاقتصادية كحقوق الملكية الخاصة، ومن ثم بدأ الانشقاق العقائدي في المعسكر الشيوعي فاعتبرت الصين الشعبية (ومعها ألبانيا) أن الاتحاد السوفيتي قد تنكر للمبادئ الماركسية الأصيلة، كما سبق أن كان الانشقاق في المعسكر الشرقي بسبب الخلاف حول مدى تبعية الدول الاشتراكية لموسكو، وعلى هذا الأساس نشبت الحرب الباردة في داخل المعسكر الشيوعي بين الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا...

ووصلت الشيوعية إلى البلاد الإسلامية ومنها العراق، حيث تغلغلت الأفكار الشيوعية بين أوساط بعض البسطاء من الناس في العراق عبر عملاء الاستعمار، الذين طبّلوا وزمروا كثيراً لتلك الأفكار المزيفة والشعارات الفارغة، فأخذ بعض السذج والبسطاء يطالبون بتحقيق العدالة الاجتماعية وفق مبدأ الشيوعية، وعلى إثر ذلك شعر الإمام الراحل قدس سره ـ الذي كان عمره الشريف لم يتجاوز الثلاثين ـ والكثير من العلماء بمسؤوليتهم تجاه تلك الأفكار الفاسدة والآراء المنحرفة، فتصدوا لها عبر وسائل عديدة، موضحين أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد ذكر الإمام الشيرازي رحمه الله بعض تلك الأساليب التي اتبعها في مواجهة الشيوعية، في كتابه (تلك الأيام) نشر مؤسسة الوعي الإسلامي.

انظر كتاب (تلك الأيام) ص١٢٦. و (الفقه: السياسة) ج١٠٦، و(مباحثات مع الشيوعيين) و(القوميات في خمسين سنة) و(ماركس ينهزم) وغيرها.

فقلت له: لا مانع من ذلك.

فذهب هذا الشخص وأخبر أخاه فامتنع عن الحضور في بادئ الأمر، وقال له: إن علماء الدين ليس لديهم استدلال منطقي أبداً، وهم دائماً يستدلون بالقرآن والروايات فحسب، ولا إيمان لي بهما!.

وعندما أخبرني أخوه بذلك قلت له: سوف أناقشه ـ بعون الله ـ على أساس الموازين العقلية وما أشبه. وعلى أي حال جاء ذلك الشخص، وكان عمره زهاء أربعين سنة، وكان ذكياً فطناً، وقد أحرز على عدد من الشهادات العالية ـ الدكتوراه وما أشبه ـ في عدة علوم، وفي البداية جاء وجلس بكل تكبّر ثم قال: عندي جملة أسئلة. فقلت له: تفضّل.

فقال: أولاً، أنا لا أعتقد بأيّ نبي، ولا بالقرآن، ولا بالأحاديث.

فقلت له: سوف أناقشك ـ إن شاء الله ـ على ضوء الموازين العقلية التي تعتقد بها. قال: بأي دليل تستدل على وجود الله الذي تعتقد به؟ في الوقت الذي لا يوجد هناك شيء سوى الطبيعة؟

وقد طال الحديث بيننا حوالي الساعتين، وكلّما دخلنا في عمق الحديث وضع إشكالات وأصرّ على رأيه، ففكرت مع نفسي وقلت: حينما يكون المقابل معانداً فلا يصح أن تتبع معه المناقشة بالبرهان والدليل والحجة، بل عليّ أن أواصل البحث معه طبقاً لأساليب علم المناظرة، لذا سأستخدم معه أسلوب الهجوم الحواري حتى يتخذ هو

أسلوب الدفاع، وفي أثناء حديثه كان هو يستشهد بكلام لينين[1]..

---

(١) فلاديمير أليتش إليانوف، المعروف بـ(لينين) عاش (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤م). ثوري روسي قائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية ضد الإمبراطورية الروسية إبّان حكم القياصرة ومؤسس المذهب اللينيني السياسي. كما يُعد لينين أول رئيس للاتحاد السوفييتي. ولينين هو الذي رفع شعار (الأرض والخبز والسلام) ولكنه أحرم الشعب من كلها .
وُلد في مدينة أوليانوفسك لأب يعمل في القطاع العام ويؤمن بانتشار الديموقراطية في الإمبراطورية الروسية. ويذكر أن جدّ لينين تحول إلى المسيحية بعد اعتناقه اليهودية. درس لينين اللاتينية واليونانية في الجامعة، وفي مايو (١٨٨٧ م) أُعدم أخوه شنقا لتورطه في محاولة اغتيال القيصر الكسندر الثالث. وكان لإعدام أخيه الأثر الكبير في تطرّف أفكار لينين والذي أدّى إلى القبض عليه وطرده من الجامعة لمشاركته في احتجاجات طلابية.
وتابع لينين الدراسة بشكل مستقل وحصل على درجة المحاماة في عام (١٨٩١م). وبدلاً من ممارسة مهنة المحاماة بعد حصوله على الرخصة القانونية التي تؤهله، انصرف لينين إلى العمل على تفعيل العمل الثوري والانعكاف على دراسة الماركسية في مدينة سانت بيترسبرغ. وفي (١٨٩٥م) تم إلقاء القبض عليه وتوقيفه لمدة عام كامل ومن ثمة نفيه إلى صحراء سيبيريا. وفي عام (١٨٩٩م) أصدر كتابه (تطور الرأسمالية في روسيا). وفي عام (١٩٠٠م) تنقل لينين بين روسيا وأوروبا وعمل على إنشاء الصحيفة الاشتراكية (إسكرا) كما عمل على نشر الكتب المتعلقة بالعمل الثوري. وفي عام (١٩٠٣م)، تزعم لينين الحزب البلشفي. وتم اختياره لزعامة حزب العمل الاشتراكي الاجتماعي عام (١٩٠٦ م)، انتقل إلى فنلندا عام (١٩٠٧م) لدواعي أمنية. عاد في (١٩١٧م) إلى روسيا عقب الإطاحة بالقيصر الروسي الكسندر الثاني، وتبوأ مكانته من بين البلاشفة في روسيا. وبعد الثورة العمالية الفاشلة في نفس العام، اضطر لينين للمغادرة إلى فنلندا مرة أخرى وعاود الرجوع إلى روسيا في أكتوبر ←

وستالين[1]، فقلت له: لقد خالفت شروط البحث التي اتفقنا

→

مدججاً بالسلاح ليقود الثورة ضد حكومة (كيرينسكي) المؤقتة.

واجه الرئيس لينين تهديد الغزو الألماني فلم يجد مناصاً من القبول بمعاهدة سلام مع الألمان خسرت إثرها روسيا الكثير من أراضيها الغربية. وفي عام (١٩١٨م) أطلقت عليه ثلاث أعيرة نارية استقرت واحدة في كتفه والثانية في رئته. ويعزى سبب تدهور صحة لينين بعدها وإصابته بنوبات قلبية إلى الطلقات التي أصابته.

لعل أول محاولة للينين لتصدير الاشتراكية الثورية كان عن طريق غزو بولندا بعدما قامت الثانية بغزو أوكرانيا في الماضي. وتمثل الفكر اللينيني في تصدير الثورة إلى غرب أوروبا إلى فرنسا وألمانيا بالاستعانة بالجيش الأحمر مروراً ببولندا عام (١٩٢٠م). وفشلت السياسة اللينينية بتصدير الثورة إلى أوروبا الغربية.

ويذكر أن محاولة الاغتيال وهموم إدارة الدولة أخذت نصيبها من صحة لينين فأصيب بالجلطة أربع مرات آخرها كانت عام (١٩٢٤ م) أدت إلى موته. ومن بين ألـ(٢٧) طبيباً الذين أشرفوا على علاج لينين ثمانية فقط، وقّعوا على تقرير المشرحة الذي يقول إن سبب الوفاة كان تجلط في الدم. ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي اتضح أن لينين مات موتاً مؤلماً وبطيئاً ووجد ما يشير إلى أنه كان مصابا بالزهري.

(١) من أبرز زعماء الشيوعية في الاتحاد السوفيتي حكم حكماً مطلقاً استبدادياً من عام (١٩٢٨ إلى عام ١٩٥٣م). نشأ في ظل لينين مفكر الاتحاد السوفيتي، واستلم قيادة الحزب والدولة من بعده ففتك بمعارضيه، ودعم أسس الدولة السوفيتية وفق نظرية (الاشتراكية في بلد واحد) وقاد بلاده نحو الانتصار في الحرب العالمية الثانية، وتقاسم مناطق النفوذ في العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مؤتمر يالطا محولاً الاتحاد السوفيتي إلى إحدى أقوى دولتين في العالم.

ولد يوسف فيساريو، والذي اشتهر باسمه المستعار جوزيف ستالين في مدينة غوري ←

→

بجمهورية جورجيا من أسرة فقيرة، إذ كان والده إسكافيا سكيراً في حين كانت أمه امرأة ملتزمة تعمل منظفة للثياب. كانت أمنيتها أن يصبح ولدها كاهناً، فألحقته بمعهد تفليس الديني، ولكنه سرعان ما طرد منه عام (١٨٩٩م) بسبب آرائه ونشاطاته. قاد الاضطرابات العمالية في القوقاز وشارك في نشاط (الولاية القتالية) التي استولت على بعض الملكيات لصالح الحزب الذي كان يعمل فيه وهو (حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي). وبعد انشقاق الحزب إلى مناشفة وبلاشفة، وقف ستالين إلى جانب البلاشفة.

تعرض ستالين إلى الاعتقال والنفي مراراً، وفي عام (١٩٠٦م) نشر ستالين أول دراسة نظرية له تحت عنوان: (الفوضوية والاشتراكية)، وفي عام (١٩١٢م) عين ستالين بدعم من لينين عضواً في قيادة الحزب الشيوعي البلشفي، اعتقلته السلطات القيصرية ونفته إلى سيبيريا، حيث بقي حتى سقوط النظام القيصري عام (١٩١٧م).

تنبه لينين بعد فوات الأوان لخطر تركيز كل السلطة في يد ستالين وخطر ذلك على سياسة الحزب، فكتب في وصيته يقول فيها : (إن الرفيق ستالين قد ركز في يديه قوة هائلة عندما أصبح أميناً عاماً، ولست متأكداً من أنه يعرف كيف يستعمل هذه القوة بالحذر الكافي) بل نصح في ملحق وصيته بإزاحته عن الأمانة العامة إلا أن موازين القوى في داخل الحزب وما يتمتع به من مناورات سياسية، وطموحه الجارف للسلطة كل هذا جعله يتغلب على معارضيه، بفرض نفسه زعيماً أوحداً للحزب والدولة. أقام دكتاتورية حمراء لا تعرف الشفقة ولا التساهل، فنظم ما بين عام (١٩٣٤ إلى ١٩٣٨م) سلسلة محاكمات شهيرة كانت ذريعتها اغتيال كيروف معاون ستالين في الدولة.

بعد موت لينين عام (١٩٢٤م) ظفر ستالين بالسلطة متفوقاً على منافسيه وسرعان ما كوّن أكبر دكتاتورية في البلاد بحركة تطهير تخلص بها من الزعماء الكبار في الحزب

←

عليها، ففي الوقت الذي أنا أؤمن بالله والرسولﷺ ولا استدل بشيء من كلامهما، يتوجب عليك بالمقابل أن لا تستشهد بقول لينين

→

الروسي الاشتراكي البلشفي، أمثال تروتسكي، وريكوف، أحدث طفرة في الصناعة الاتحادية حيث أصبحت روسيا واحدة من أقوى دول العالم الصناعية. حوّل ستالين الأراضي الزراعية المستقلة إلى أراضي جماعية أو حكومية.

مات ستالين عام (١٩٥٣م) فخلفه مالتكوف ثم خروتشيف، هوجم تسلطه إعلامياً بعد موته فتعرض لحملة عنيفة كشفت عن فساد حكمه، وأدانه مؤتمر الحزب الشيوعي عام (١٩٥٦م) فشجب عبادة الشخصية التي كان يتصف بها، وقد قتل من الشعب أكثر من عشرين مليوناً لأجل تحويل النظام الزراعي التقليدي إلى المزارع الجماعية أو المزارع الحكومية، وقد سبب هذا التحويل سحق الطبقة الوسطى في المجتمع مما أدى إلى خفض الإنتاج الزراعي، ونقص الملايين من رؤوس الماشية، وإحداث مجاعات في البلاد وعلى الخصوص في أوكرانيا وشمال القفقاز. تم تحطيم تماثيله ونصبه التذكارية. يعتبر صاحب وشريك لينين في فكره الباطل وعمله الذي جّر على البشرية أبشع المآسي والويلات، ثم اتجه الاتحاد السوفيتي إلى التخفيف من حدة الدكتاتورية في البلاد، ثم بدأ النظام الدولي إلى التغير وخاصة في نظام الاتحاد السوفيتي بدءً من عام (١٩٨٥م)، ولحق التغيير بقيم النظام وفلسفته، ثم امتد إلى هيكلة وتوزيع القوة الداخلية أيضاً، وتبلور ذلك التغيير بشكل محدد في أوائل التسعينات، حيث انفرط عقد حلف وارسو، ثم انهار بنيان الاتحاد السوفيتي الذي آل في النهاية إلى السقوط والزوال، وذلك في عام ١٩٩١ واصبح جزءً من الماضي والتاريخ .

راجع قصة موت ستالين في كتاب: من قصص المستبدين للإمام الراحل رحمه الله: ص٥٠ القصة رقم ٢٨. وانظر الموسوعة السياسية: ج٣ ص١٣٧ ـ ١٣٨ حرف السين.

وستالين، فإما كلانا له الحق أن يستشهد بما يعتقد وإلاّ فلا، وعلى هذا الأساس فلا يحق لك أن تأتي بشاهد.

فقال: أنا أختلف عنك في ذلك؛ لأن ما عندك هو مجموعة خرافات، وأنت تريد أن تحمّلني إياها، لكن الذين عندي هو شيء آخر، وإني حينما أريد أن أناقش وأستشهد فإن لينين وستالين قد كانا من رجالات الفكر والمعرفة!!

فقلت له: أما بالنسبة لي فأنا لا أعتقد بستالين ولا بلينين (قلت له هذا محاولة مني للانتقال إلى حالة الهجوم).

فقال: لماذا؟

فقلت له: إني لا أعترف بأقوال ستالين؛ لأنه رجل يقول عكس ما يفعل (وأردت بذلك أن يتحول الخصم إلى حالة الانفعال لكي يهرب بعدها من الميدان، وذلك طبقاً لموازين علم المناظرة).

فقال: وهل تقدر أن تثبت لي بأن ستالين كان إنساناً يقول عكس ما يفعل؟

فقلت له: نعم، أثبت لك ذلك، ألم يقل ستالين: يجب أن يتساوى الناس جميعاً، فكيف وضع بعد ذلك قبة من الذهب في بيته؟!

فقال: إن هذا الكلام كذب.

فقلت له: إن هذا الكلام ذكرته كتب طبعت في موسكو، وإن الكتاب الذي ذكر هذا الكلام هو معي الآن، ولأنه كان يعرف ذلك

أخذ الانفعال يبدو عليه، ولم يتمكن من إعطاء أي جواب.

فقلت له: إذاً، عليك أن لا تستشهد من الآن فصاعداً بكلام ستالين، لأن الشخص الذي يقول عكس ما يفعل لا يمكن أن يتخذ كلامه للشهادة.

وبعد أن أثبتنا هذا (وإن الذي أردته أنا هو إسقاط زعيمهم الذي إذا سقط من الحساب فسيسقط هو كذلك).

قلت له: وإن لينين كذلك، فانزعج كثيراً، وقال: لينين لماذا؟!

فقلت له: إن هذا واضح، لأن النظام الذي وضعه لينين خلف خلفاً هو ستالين، هذا الذي تسبب في ارتكاب آلاف الجرائم الفظيعة.

وكان الحديث مع هذا الرجل الشيوعي بهذه الطريقة الهجومية، فتوقف عن الكلام نهائياً، لأنّه كلما كان يقول رأياً كنت أوجه إليه هجوماً آخر، وبعدما انتهى كل ما عنده قلت له: والآن وبعد أن عرفت أنّ مبادءك كلها باطلة، تعال وتمسك بمبادئنا، لأننا نملك دليلاً على أن ديننا قائم على أسس صحيحة مائة في المائة.

ولأنه رأى أن الهجومات التي وجهت إليه كانت بالشكل الصارم، فقد ظل خائفاً ينتظر فرصة للهرب، لذلك قال: إنني سوف ألتقي بكم ثانية لو سنحت الفرصة، إن شاء الله!!

فقلت له: ألست أنت المنكر لله، فكيف تقول: إن شاء الله؟!

فقال: هي عادة اعتدناها. وبعد هذا اللقاء جاءنا أخوه، وقال: إن أخي كان معجباً جداً بحديثكم، ويقول: إنه لم يسمع من قبل بمثل حديثكم معه.. إلاّ أنّه لم يأت بعد ذلك لإدامة النقاش.

اليهودي وعبقرية أمير المؤمنين عليه السلام

يذكر أن رجلاً من اليهود قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنكم في الوقت الذي لم تدفنوا جنازة نبيكم بعد، اختلفتم حوله؟!

فقال له الإمام عليه السلام: «إن المسلمين قد اختلفوا حول وصية نبيهم لا أنهم اختلفوا حوله، لكنكم أنتم اليهود، حينما كنتم مع موسى عليه السلام وعبرتم البحر وأغرق الله فرعون وأعوانه، وفي الوقت الذي لم تكن فيه أرجلكم قد جفت بعدُ من ماء البحر، فإنكم قلتم لنبيكم: يا موسى اجعل لنا صنماً نعبده كما يعبد الآخرون أصنامهم!».

فبهت اليهودي، وحصر عن الكلام[1].

وكلامنا هو: أن الإنسان إذا رأى خصمه التزم جانب العناد فعليه أن يبدأ بأسلوب الهجوم الجدالي والحواري نحوه، لأنه والحالة هذه قد لا يمكنه أن يرد على إشكاله بجواب مقنع يقبله، وربما كان في جوابه مناقشات.. وهكذا.

هل تعتقد بزواج المتعة؟

ذكر أحد الفضلاء أنه عندما سافر مرة إلى تركيا، تعرف هناك على

---

(١) انظر نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣١٧. وفيه: (قَالَ لَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ: مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ؟ فَقَالَ عليه السلام لَهُ: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لا فِيهِ، وَلَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ﴿اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾). سورة الأعراف: ١٣٨.

بعض الأشخاص، يقول وبينما كنت جالساً مع جماعة كان فيهم بعض الوجهاء والضباط من السنة والشيعة وإذا أحدهم يقول لي، وكان يبدو أنه سنيٌ متعصب: هل أنت من علماء الشيعة؟

فقلت له: نعم.

قال: وهل تعتقد بزواج المتعة؟ [1].

---

(١) جاء في كتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي ﷺ: النكاح المنقطع، وهو سائغ في دين الإسلام، لتحقق شرعيته، وعدم ما يدل على رفعه. وفي شرح المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله عليه، قال:

ويدل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، بتفصيل كبير، ونوجز ذلك في أسطر بما يليق هذا الشرح المختصر، وأما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ سورة النساء: ٢٤. فسماها الله متعة، وسمى مهرها أجراً، وهو يلائم الشيء غير الدائم، فإنه لا يقال لمن اشترى عبداً، أو داراً، أو أرضاً: أعط الأجرة، وإنما يقال: أعط الثمن، لكن يقال لمن أستأجر داراً أو عبداً أو أرضاً: أعط الأجرة . وقد روى إمام أهل السنة الطبري في تفسيره الكبير (جامع البيان): فما استمتعتم به منهن إلى أجل فآتوهن أجورهن.

وأما السنة: فالأحاديث من عامة مذاهب المسلمين كثيرة جداً، ويكفي في المقام ما نقل متواتراً عن عمر بن الخطاب أنه قال: (متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ محللتين أنا أنهي عنهما: متعة الحج، ومتعة النساء). وهذا صريح في أن المشرع الأعظم رسول الله ﷺ حللهما، وسنة النبي ﷺ هي المتبعة، وسنة غيره هي التي يجب تركها.

وأما الإجماع: فعندنا بلا نكير، وعند العامة اجمعوا على تشريع المتعة، واختلفوا في نسخها، ولا يترك اليقين بغير اليقين، وقد روي عن صحيحي البخاري ومسلم عن عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله عز وجل، ولم تنزل آية بعدها ←

فقلت له: نعم.

قال: لو فرضنا أنك أتيت يوماً إلى تركيا وتزوجت امرأة بزواج المتعة، وبعد أن قضيت معها ليلة الزواج، حملت هذه المرأة تلك الليلة، ثم أردت أن تعود إلى وطنك، فماذا ستفعل المرأة حينها؟ وما هو مصير الطفل الذي سيولد؟

يقول هذا الأخ: إني رأيت هذا الضابط معانداً ومجادلاً ويتكلم

→

تنسخها، فأمرنا بها رسول الله ﷺ ولم ينهانا عنها، فقال رجل برأيه ما شاء. قال البخاري: يقال: إنه هو عمر، وقال مسلم: يعني عمر.

وأما العقل: فلأن كل شيء فيه دائم ومؤقت، وقد أقر الشرع ذلك في كل المعاوضات، فالبيع، والصدقة، والهدية، والهبة، أمثلة للدائم، والإجارة والصلح، والعارية، ونحوها للمؤقت، فلم لا يكون في النكاح مؤقت؟! أضف إلى ذلك، إن الناس ليس كلهم يقدر على الدائم، لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو غيرها ـ كما هو المشاهد كثيراً في عصرنا هذا من كون أكثر الشباب والشابات عزاب ـ فيدور الأمر بين ثلاثة أمور: الكبت الجنسي الموجب لأمراض خطيرة. والفساد الذي فيه تحطيم العائلة والنسل والكرامة الإنسانية والمرض وغير ذلك. والمتعة بما لها من أحكام نظيفة، ولا شك أن العقل يأمر بالمتعة حذراً من العزوبة والفساد، والبحث طويل نكتفي منه بهذا المقدار، ومن أراد التفصيل فليرجع للمطولات، ومن أجمل ما فيه كتاب (المتعة) لتوفيق الفكيكي.

انظر كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: ج١ ص٥٤٢ تعليق آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله.

بخشونة وفضاضة، فأردت أن أخرج معه بنتيجة وبأسرع وقت، وأخرجه من حالة المعاندة التي يلتزمها، فاتبعت معه هذه الطريقة، فقلت له: إذا كان إشكالك هذا صحيحاً فإن نفس الإشكال يرد عليك بالمقابل أيضاً، فهل أنت مسلم، وهل تعتقد بشرعية النكاح الدائم؟

قال: نعم.

قلت له: لو فرضنا أنك تزوجت امرأة من هذه المدينة زواجاً دائماً، وفي صباح اليوم الثاني طلّقتها، ثم تبيّن بعد الطلاق بأن الله رزقها منك طفلاً، فماذا ستفعل هذه المرأة ومن يقوم بكفالة ولدها؟

فاحمرَّ وجهه خجلاً ولم يعط جواباً، وظل الحضور ينظرون إليه، نظرة استغراب وانزعاج، معناها: لماذا لم تعط جواباً.

فكان الغلب على هذا المعاند بهذه الجملة المختصرة وليس أكثر..

فعلى الإنسان أن يتخذ مثل هذا الأسلوب خاصة مع أشخاص معاندين كهذا، الذين لا يقبلون بالاستدلال والمنطق.

مع ملك الإسكندرية

لما أرسل رسول الله ﷺ حاطباً إلى ملك الإسكندرية [1]، قال ملك

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة من بني خالفة بطن من لخم. كنيته أبو عبد الله، هاجر إلى المدينة هو وخادمه ونزلا على المنذر بن محمد بن الجلاح. وآخى رسول الله ﷺ بين حاطب بن أبي بلتعة ورخيلة بن خالد، شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحُداً والخندق وغيرها، وقد بعثه رسول الله ﷺ بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وكان حاطب من الرماة المعروفين في أصحاب النبي ﷺ. ←

الإسكندرية لحاطب: هل تدعي يا حاطب أن هذا الشخص (ويعني الرسول الأعظم ﷺ) هو نبي؟ قال حاطب: نعم.

فقال الملك: فهل هو نبي مرسل من الله؟ قال حاطب: نعم.

قال الملك: هل أن دعاء هذا النبي مستجاب؟

قال حاطب: نعم.

فقال الملك: فإذن لماذا لم يدعُ هذا النبي ربه، لكي يدحر أهل مكة وينصره، في حين أنه قد أجبر على الفرار إلى المدينة.

فقال حاطب ـ فوراً ـ : وهل أنت تعتقد بنبوة المسيح؟

قال الملك: نعم.

فقال حاطب: فهل تعتقد بأن المسيح نبي مرسل من الله؟

فقال الملك: نعم أعتقد ذلك، وهو كذلك ابن الله!

قال حاطب: وهل أنّ دعاءه مستجاب؟ قال الملك: نعم.

فقال حاطب: إذا كان الأمر هكذا، فكيف لم يدعُ المسيح ربه ليدحر اليهود، حتى لا يدخلوا داره ولا يقتلوه كما تعتقدون بذلك؟!

فتعجب الملك من سرعة إتيان حاطب بهذا الدليل المفحم، وقال:

→

وكان يعمل تاجراً يبيع الطعام وغيره. وهو الذي كتب إلى أهل مكة يعلمهم عزيمة رسول الله ﷺ فتح مكة وقصته مشهورة. مات في المدينة سنة (٣٠ هـ)، وهو ابن خمس وستين سنة.

حكيم من عند حكيم[1].

---

(١) انظر: تأريخ الخميس: ج٢ ص٣٧ كتاب النبيﷺ إلى المقوقس. و زاد المعاد: ج٣ ص٩١. والإصابة في معرفة الصحابة: ج٣ ص٥٣٠ في ترجمة المقوقس. وتفصيل القصة هكذا:

كتب رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط وكان نصرانياً مع حاطب بن أبي بلتعة، فجاء به حاطب حتى دخل مصر فلم يجده هناك، فذهب إلى الإسكندرية فأخبر أنه في مجلس مشرف إلى البحر، فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه، وأشار بالكتاب إليه، فلما رآه المقوقس أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به نظر إلى الكتاب وفضه وقرأه، وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم، فاستعار منه الكلام ثم سكت. فقال له حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم عليه السلام رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأردوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟ قال: أحسنت، أنت حكيم من عند حكيم.

ثم قال له حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى (يعني فرعون) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك، إن هذا النبيﷺ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليه السلام إلاّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلاّ كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به. فقال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى، وسأنظر، ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته. ←

يعني: إن النبي الذي أرسلك وعلّمك الحكمة هو رجل حكيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رسول الرجل ترجمان عقله» [1].

قصة من الهند

هناك قصة طريفة ـ من هذا القبيل ـ حدثت في الهند، يذكر أنه جاء أحد القساوسة إلى ذلك البلد لغرض التبشير، وأخذ يدخل في مباحثات ومناقشات عديدة مع علماء المسلمين هناك، ولأنه كان فطناً حاد الذكاء كان يسعى على أن يتغلب أمام أنظار الناس في مجادلته، وحدث يوماً أن

→

وأرسل المقوقس يوماً إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث؟ فقال: لا تسألني عن شئ إلاّ صدقتك، قال: إلى ما يدعو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت [أي حاطب]: إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم، إلى أن قال: فوصفته فأوجزت، قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقه، وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزي بالتمرات والكسر، ولا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم. ثم قال المقوقس: هذه صفته، وكنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه بالشام، وهناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وأنا أظن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، ولا أحب أن تعلم بمحادثتي إياك.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٩ ق١ ب١ ف٣ ح٢٨٦.

دخل هذا المسيحي في نقاش مع عالم شيعي من الطراز الأول وبحضور الآلاف من الناس، وكان من أعراف بعض مناطق الهند والباكستان أن تكون المناقشة في حضور جمع من الناس.

وعندما دار النقاش بين القس والشيعي، لم يستطع القس أن يتغلب على الشيعي، وأخيراً انهزم أمام الشيعي، وكان انكساره بمشاهدة من الحاضرين، وقد كان سؤال المسيحي وقتها أنه قال: إنكم أيها الشيعة تقيمون العزاء للحسين عليه السلام وتبكون وتلطمون، فهل تعتقدون أن الحسين ـ عليه السلام ـ هو ابن النبي؟

فقال الشيعي: نعم.

قال المسيحي: وهل أن دعاء هذا النبي مستجاب؟

فقال الشيعي: نعم.

قال المسيحي: إذا كان دعاء هذا النبي مستجاباً، فلماذا لم يدع ربه لينجي ابنه من هذه المشكلة، والمفروض أن النبي هو حي، لا فرق بين حياته وموته؟

فأجابه الشيعي قائلاً: إنكم تعتقدون أن المسيح هو ابن الله، ونحن نعتقد أن الحسين ابن النبي، أصحيح هذا؟

فقال المسيحي: نعم.

قال الشيعي: إن الرسول صلى الله عليه وآله لم يطلب من الله أن ينجي ولده؛ لأنه رأى لو أنه طلب من ربه ذلك في يوم كربلاء، لكان جواب الله له: إني لم أنج ولدي المسيح، فلا يمكن أن أنجي ولدك!!.

فانقطع المسيحي عن الكلام، ولم يستطع أن يعطي جواباً، وافتضح أمام الجماهير الحاضرة.

والذي نستفيده من هذه القصة هو اتخاذ حالة الهجوم على الشخص المعاند ليغلبه ويفحمه ويخلص الناس من شبهاته.

نبي الله إبراهيم عليه السلام ونمرود

وعندما نقرأ عن حياة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام نجد أنهم كانوا يختارون أفضل أساليب الحوار والجدال مع خصومهم، وخاصة حينما كان الطرف المقابل يلتزم حال العناد، قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم حاكياً عن نبي الله إبراهيم عليه السلام أنه قال للنمرود: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ﴾ (١) ﴿قَالَ﴾ نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ﴾، فلما رأى إبراهيم عليه السلام أن نمرود دخل في حالة العناد واجهه بالهجوم قائلاً: ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (٢).

وقد ذكرت لنا الآيات والروايات كثيراً من التفاصيل بهذا الخصوص، ويظهر ذلك بوضوح لمن راجع مثل كتاب (الاحتجاج)(٣).

وعلينا اليوم أن نتبع مع الغرب وأعوانه نفس الأسلوب المنطقي في الحوار، من خلال الإعلام والكتب والندوات والمؤتمرات الحوارية وما أشبه، وهذا العمل يتطلب الكثير من الجهد والمطالعة والتعلم والاجتهاد في معرفة أساليب المناظرة والمجادلة والمحاججة، ولتحقيق الغلبة في هذا النوع من الصراعات هناك مقومات أساسية لا بد من اتباعها.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٣) مؤلفه: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، من علماء القرن السادس الهجري.

مقومات النصر

خلاصة القول: إن على المسلمين أن يتبعوا سيرة النبي الأعظم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، في كيفية المناقشة والمجادلة والمناظرة مع الآخرين، وكيفية التحول من موضع الدفاع إلى موضع الهجوم الحواري في الدعوة إلى الإسلام..

أما اليوم فنلاحظ المسلمين خاملين في مواضعهم الدفاعية، أو يراوحون في محلهم، بل أكثر من ذلك نلاحظ البعض يعمل على إبعاد الناس عن الإسلام من حيث يعلم أو لا يعلم، فعليهم ـ والحال هذه ـ الحيطة والحذر في السير على نهج الرسالة المحمدية والعلوية إذا أرادوا الفلاح. ويتم ذلك عبر اتخاذ خطوات عديدة، من أهمها:

١ ـ تشكيل التنظيمات الإسلامية في كل أنحاء العالم.

٢ ـ تقوية العمل التبليغي الإسلامي في كل البلدان، خصوصاً وأن التبليغ في هذا العصر يحظى بأهمية خاصة، حيث إن أعداء الإسلام جعلوا التبليغ ضد الإسلام من أعمالهم الرئيسية في كل بقعة من بقاع الأرض، وبمختلف وسائل الإعلام الحديثة المرئية والمسموعة، والقديمة منها كالكتب والمجلات والنشرات والخطب في المساجد والأماكن العامة وإقامة المهرجانات وغير ذلك.

٣ـ إنشاء الصناديق المالية في البلدان الإسلامية وغيرها، لتأمين الجانب المادي الداعم لهذه النشاطات.

ويجب علينا أن لا نجعل اليأس في قاموسنا؛ لأننا إذا عملنا بشكل

جيد ومتقن، فمن الممكن جداً وفي عدد من السنين القليلة أن يعطي هذا العمل المبارك ثماره النافعة ـ إن شاء الله ـ ونكون قد حققنا خطوات متقدمة في طريق النصر والدعوة إلى الإسلام، كما أن الله سبحانه وتعالى يهب النصر لمن يهيئ الأسباب له، قال في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ [1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً» الحديث [2].

وإن رسول الله صلى الله عليه وآله عانى كثيراً من المصائب حتى استطاع أن يدفع عجلة الإسلام إلى الأمام، وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وآله الأسلوبين المعروفين في المواجهة، معاً لأداء مهمته: الأسلوب الكلامي والأسلوب العملي في مختلف الميادين.

«اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، وبُعد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهُدى والاستقامة، وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة» [3].

---

(١) سورة الكهف: ٨٩.

(٢) الكافي: ج١ ص١٨٣ باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه ح٧.

(٣) المصباح للكفعمي: ص٢٨٠ الفصل ٢٩ في أدعية مأثورة وفضائلها مشهورة ..

من هدي القرآن الحكيم

القرآن أسوة في الجدال الأحسن:

قال تبارك وتعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٣).

وقال جل اسمه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

التسلح بالحكمة والمعرفة:

قال تبارك وتعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ (٥).

---

(١) سورة المائدة: ١٦.

(٢) سورة الإسراء: ٩.

(٣) سورة الجاثية: ٢٠.

(٤) سورة البقرة: ٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٩.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (١).

وقال عز اسمه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

الاستعانة بالعقل:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ (٤).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (٥).

وقال جل اسمه: ﴿هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ (٦).

الجدال بالحسنى:

قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٧).

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) سورة الأنعام: ٥٠.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة طه: ٥٤.

(٥) سورة الزمر: ٢١.

(٦) سورة غافر: ٥٤.

(٧) سورة النحل: ١٢٥.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [2].

الإصلاح هدف الجدال:

قال سبحانه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [3].

وقال تبارك وتعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [4].

وقال عز وجل: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾ [5].

---

(١) سورة النمل: ٦٤.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٣) سورة هود: ٨٨.

(٤) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٥) سورة الأنفال: ١.

من هدي السنّة المطهّرة

القرآن أسوة في الحوار:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيها الناس إنكم في زمان هدنة، وأنتم على ظهر السفر، والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المفاز.

فقام المقداد فقال: يا رسول الله، ما دار الهدنة؟

قال: دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافع مشفّع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل، ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنازل الحكمة ودليل على المعروف لمن عرفه»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استفتحوا بكتاب الله، فإنه إمام مشفق، وهاد مرشد، وواعظ ناصح، ودليل يؤدِّي إلى جنة الله عز وجل»[2].

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص٢ في فضل القرآن ح١

(٢) الأمالي، للطوسي: ص٢٣٥ المجلس ٩ ح٤١٦.

وقالت السيدة زينب عليها السلام: «قالت فاطمة عليها السلام في خطبتها في قصة فدك: لله فيكم عهد قدّمه إليكم وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله، بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان متجلية ظواهره، مديم للبرية استماعه، وقائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّياً إلى النجاة أشياعه..»[1].

التسلح بالمعرفة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «العالم بين الجهال كالحي بين الأموات، وإن طالب العلم ليستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر، وهوام الأرض وسباع البر وأنعامه، فاطلبوا العلم فإنه السبب بينكم وبين الله عزوجل، وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من أهله، فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة فيه تسبيح، والعمل به جهاد، وتعلّمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمونس في

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٦٧ باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عليها بالنار ح٤٩٤٠.

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ص٢٨ المجلس٤ ح١.

الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والتزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم، ويُهتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تبارك عليهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه. إن العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الآخرة والأولى، الفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام. العلم أمام العمل، والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرم الله منه حظه»[1].

وقال عليه السلام: «يا كميل، ما من حركة إلاّ وأنت محتاج فيها إلى معرفة»[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لجابر الجعفي: «.. وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص

---

(١) إرشاد القلوب: ج١ ص١٦٥ ب٤٩ في الأدب مع الله تعالى.

(٢) تحف العقول: ص١٧١ باب ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد..

العمل، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ..»[1].

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة؛ لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»[2].

الاستعانة بالعقل:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»[3].

وأثنى قوم بحضرته صلى الله عليه وآله على رجل حتى ذكروا جميع خصال الخير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف عقل الرجل؟» فقالوا: يا رسول الله، نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير، تسألنا عن عقله؟!

فقال صلى الله عليه وآله: «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما

---

(١) تحف العقول: ص٢٨٥ باب ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٥ ب٨ ح٨.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٩ ب٨ ح١٢٧٦٣.

يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك»[2].

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «من لم يكن عقله أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه»[3].

وسُئل الإمام الرضا عليه السلام ـ في حديث ـ: فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال عليه السلام: «العقل، يُعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه»[4].

الجدال بالحسنى:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن المجادلون في دين الله»[5].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من أعاننا بلسانه على عدونا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل»[6].

وعن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يعيبون

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٩ ب٨ ح١٢٧٦٣.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٢٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٦ ب٨ ح١٢٧٤٩.

(٤) الكافي: ج١ ص٢٤ كتاب العقل والجهل ضمن ح٢٠.

(٥) بحار الأنوار: ج٢ ص١٢٥ ب١٧ ح١

(٦) بحار الأنوار: ج٢ ص١٣٥ ب١٧ ح٣٦.

علي بالكلام، وأنا أكلم الناس؟

فقال عليه السلام: «أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع ثم لايطير فلا» (١).

وعن الطيار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني أنك كرهت منا مناظرة الناس، وكرهت الخصومة؟

فقال عليه السلام: «أما كلام مثلك للناس فلا نكرهه، من إذا طار أحسن أن يقع، وإن وقع يحسن أن يطير، فمن كان هكذا فلا نكره كلامه» (٢).

الإصلاح هو الهدف:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد؟ هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحق. اللّهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتُقام المعطلة من حدودك، اللهم إني أول من أناب وسمع

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص١٣٦ ب١٧ ح٣٨.

(٢) رجال الكشي: ص٣٤٨ ج٤ ما روي في الطيار وأبيه ح٦٥٠.

وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة.. »[1].

وقال عليه السلام: «وليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم»[2].

وقال الإمام الحسين عليه السلام ـ في حديث ـ: «فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا. اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا، قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٣١ من كلام له عليه السلام و فيه يبين سبب طلبه الحكم و يصف الإمام الحق.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٣٦ من كلام له عليه السلام في أمر البيعة.

(٣) تحف العقول: ص٢٣٩ باب ما روي عن الإمام التقي السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في طوال هذه المعاني.

الفهرس

كلمة الناشر ٣
الموعظة الحسنة ٦
التقسيمات الأولية للمناقشة ١١
تبديل حالة الدفاع إلى الهجوم ١٢
الجدال الحسن والمذموم ١٣
الجدال في الكتاب والسنة ١٥
من معاني الجدال ١٩
من مصاديق الجدال ٢١
جدال المعاند ٢١
حوار مع ملحد ٢٣
المسلمون الأوائل والأسوة الحسنة ٢٤
الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قدوة ٢٧
عبرة لمن يعتبر ٣١
مناقشة مع شيوعي ٣٤
اليهودي وعبقرية أمير المؤمنين عليه السلام ٤٤
هل تعتقد بزواج المتعة؟ ٤٤
مع ملك الإسكندرية ٤٧
قصة من الهند ٥٠

نبي الله إبراهيم عليه السلام ونمرود ٥٣
مقومات النصر ٥٤
من هدي القرآن الحكيم ٥٦
القرآن أسوة في الجدال الأحسن ٥٦
التسلح بالحكمة والمعرفة ٥٦
الاستعانة بالعقل: ٥٧
الجدال بالحسنى ٥٧
الإصلاح هدف الجدال ٥٨
من هدي السنّة المطهّرة ٥٩
القرآن أسوة في الحوار ٥٩
التسلح بالمعرفة ٦٠
الاستعانة بالعقل ٦٢
الجدال بالحسنى ٦٣
الإصلاح هو الهدف ٦٤
الفهرس ٦٦